مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 10 / العـدد:02 (جويلية2022) ص 476– 499
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

الشيخ المؤرخ إبراهيم أبو اليقظان الجزائري وإسهاماته التاريخية (1888–1973م)

Shaykh Historian Ibrahim Abul-Yakdan Al-Djazairi and his Historical Contributions (1888-1973 AD)

طالب دكتوراه: صالح الزرويل [1]
Zerouil Salah[1]
1 جامعة غرداية (الجزائر)، salah.zerouil@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/06	تاريخ القبول: 2022/04/21	تاريخ النشر: 2022/07/14

الملخص : يعتبر الشيخ أبو اليقظان (1888–1973)أول صحافي وإعلامي جزائري قاوم الاستعمار الفرنسي بجرائده الثماني، التي كان يصادرها المستعمر، لكن في نفس الوقت كان من بين المؤرخين الذين تركوا تآليف كثيرة في التاريخ عامة، وفي التاريخ الإباضي الوسيط بخاصة، الذي غلب عليه طابع التراجم، فقد كتب عن كبار شيوخ الإباضية كالإمام عبد الله بن إباض والشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش وغيرهم، كما خصّ نفسه بترجمة مستفيضة عن تفاصيل حياته، كما كانت له كتابات أخرى في أحوال بلدته القرارة بولاية غرداية، وأهم إنجاز تاريخي يُحسب له هو ملحق سير الشماخي في ثلاثة أجزاء، أتم به ما انتهى إليه الشيخ الشماخي(ت928هـ) صاحب كتاب"سير الشماخي"، وهو بمثابة حلقة وصل بين مشايخ الإباضية في التاريخ الوسيط ومشايخ العصر الحديث والمعاصر، وتبقى جلّ مؤلفاته مخطوطة تنتظر التحقيق العلمي. ونحن نرمي إلى التعريف بمؤلفاته التاريخية علّها تجد من يهتم بتحقيقها ودراستها.

الكلمات المفتاحية: التاريخ، الإباضية، أبو اليقظان، المخطوطات، الجزائر، السير والتراجم.

Abstract

Chaykh Abul-Yakdan, through his eight newspapers, which has been confiscated one by one, is the first journalist who fought against the French colonization. He was, besides, a historian who wrote many books about general history and the Ibadhi Medieval, one in particular. His style was mainly biographies at which he wrote about senior Ibadi scholars “shuyukh” such as Imam Abdullah bin Ibad, Abu Ishaq Ibrahim Tfayesh and others. He has dedicated as well certain chapters to his life, and other writings on his hometown Guerrara in Ghardaia. His most important historical achievement is The Shammakhi Biographies Addendum“Moulhak of Siyar Shammakhi” in three volumes; in which he completed what Chaykh Shammakhi ended. This book was the bridge between Ibadhi Medieval and Modern Eras scholars. Most of Abul-Yakdan’s manuscripts remain, awaiting scientific treatment. We aim, through this research, to introduce his historical writings that may find someone will take care of it.

Keywords: History, Ibadi, Abul-Yakdan, Manuscripts, Algeria, Biographys.

المؤلف المرسل: صالح الزرويل ، **الإيميل**: salah.zerouil@univ-ghardaia.dz

1.مقدمة:

عرفت الصحافة الجزائرية أقلاما عديدة سال حبرها في الصحف الوطنية والدولية، قديما وحديثا، خاصة فترة الاستعمار الفرنسي، ومن الذين تصدوا لها ولهمجيتها بلسانهم الكاتب، الشيخ أبو اليقظان، الذي دوّى اسمه قبل جرائده أسماع الاستعمار وأقض مضجعهم، فهو من رواد الصحافة الجزائرية، بل من عمدائها، والذي أسس لذلك صحفا ثمانية، ما إن يُصادر المستعمر إحداها إلا ويجد أخرى حية ترزق.

حديثنا في هذه الأسطر عن الشيخ أبي اليقظان إبراهيم ليس كصحفي محترف، وإنما كمؤرخ مقتدر، فالقليل منا من يعرف أن له اهتماما كبيرا بالتاريخ، ولا أدل على ذلك ما تركه من آثار تاريخية مختلفة، منها المطبوعة وأكثرها مخطوطة، بحاجة إلى دراسة معمقة، لا للتعرف على شخصه فحسب وإنما للوقوف على الظروف المعيشة تحت المستعمر في جانبها السياسي والاقتصادي، والاجتماعي والثقافي والديني في القرارة –مسقط رأسه–، وفي الجزائر والعالم العربي عموما، وقليلة هي الدراسات التي تناولت الجانب التأريخي عند أبي اليقظان، وهدفنا التعريف بمؤلفاته التاريخية المعروفة عناوينها، المجهولة مضامينها، فمن هو الشيخ أبو اليقظان؟ وما هي دوافعه للاهتمام بالتاريخ إلى جانب الصحافة؟ وما هي آثاره، ومصنفاته التاريخية؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، رأيت تناول الموضوع في نقاط محددة هي محاور كبرى، يمكن بها الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه، فبعد مقدمة قصيرة، نتناول سيرة حياة أبي اليقظان، طفولة وكهولة وشيخوخة، –بشيء من الاختصار فالمصادر والمراجع المختلفة قد تناولت ذلك باستفاضة– ثم التعرف على آثاره العلمية التي خلّفها عامة والتي تُعنى بالتاريخ خاصة، والتي هي بمثابة بصمة له يُعرف بها، وتُعرف به، ولا يمكن الإلمام بالموضوع من جميع جوانبه في هذه الصفحات، فكل جزئية منه، بحاجة إلى استفاضة، وتفاصيل بحجم كتب ومؤلفات.

2. سيرة حياته:

1.2 تعلّمه:

هو حمدي أبو اليقظان الحاج إبراهيم بن الحاج عيسى بن يحيى بن داود، و أبو اليقظان هو الاسم الذي عُرف واشتهر به وصار كنية له، وقد استمده من الإمام الرستمي الخامس أبي اليقظان محمد بن أفلح. ولد يوم الاثنين 29 صفر1306هـ/ 05 نوفمبر1888م، بمدينة القرارة التابعة لولاية غرداية، أبوه عيسى الذي كان إماما وواعظا بمسجد القرارة، لمدة أربع عشرة سنة، ومن كبار المصلحين فيها، والذي توفي وتركه يتيما بعمر سنة وثلاثة أشهر (أبو بكر، 2015، صفحة 282)، ترعرع بمسقط رأسه طفلا كسائر أقرانه، ولما بلغ سن الأربع سنوات التحق

بالمحضرة أو الكتّاب، حيث حفظ القرآن الكريم واستظهره على يد شيخه الحاج إبراهيم بن كاسي حميد أوجانة (ليمام) سنة 1323هـ/ 1905م، كما درس على يد كل من الحاج علي بن حمو، والحاج إبراهيم بن صالح بوسحابة، وصالح بن كاسي حميد أوجانة(ملاّلي)، بعدها انتقل إلى معهد الشيخ الحاج عمر بن يحي ويرو الحاج يحي، وعمره اثنا عشرة سنة والذي زاول به دراسته، وأخذ عنه الفنون العربية والشرعية، ثم معهد الحاج إبراهيم الابريكي (ناصر، 2016، صفحة 59).

طموح إبراهيم العلمي لم يتوقف عند هذا الحد، فقد كان يفكر في مواصلة تعليمه بمعهد قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش ببني يزقن(غرداية)، لكن أمر زواجه حال دون ذلك، ففضّل السفر سنة 1904م إلى مدينة باتنة للعمل في التجارة. إذ لم تكن ظروفه العائلية الاجتماعية والمادية لتسمح له بمواصلة الدراسة، خاصة بعد وفاة أخيه الأكبر يحيى سنة 1901م، فقد كان يعيش في عوز وفاقة شديدين، لذا توقف عن الدراسة مضطرا للعمل، وإعالة عائلته، لكن بقاءه فيها لم يدم أكثر من أربعة أشهر، إذ حدث له حادث (فرصوص، 1991، صفحة 20)، غيّر مجرى حياته، وجعله يعود إلى ميدان العلم والمعرفة.

أرسله شيخه الحاج عمر بن يحيى إلى معهد الشيخ قطب الأئمة في بني يزقن سنة 1907، وعمره آنذاك تسع عشرة سنة، والذي درس على يديه مختلف العلوم العقلية، كما درس على بعض قدماء تلاميذ القطب، حيث نبغ إبراهيم وتفوق على زملائه بشهادة شيخه، وقد أمضى بمعهد القطب أربع سنين، ومن الذين جلسوا معه: الشيخ أبو إسحاق اطفيش، والشيخ سليمان الباروني النفوسي، والشيخ إبراهيم حفار وغيرهم، بعد ذلك شد أبو اليقظان الرحال في جويلية سنة 1911 خارج الوطن إلى مصر بالذات، للاستزادة من العلم في رحلةِ مغامرة محفوفة بالمخاطر والصعاب، متحديا الاستعماري الفرنسي الذي كان يمنع السفر بدون رخصة، إذ قصد الحجاز لحج بيت الله الحرام، كما قادته تلك الرحلة التي دامت قرابة 10 أشهر إلى تونس وطرابلس ودمشق والقاهرة وبيروت وإزمير. لكنه عاد بعدها إلى مسقط رأسه في أفريل 1912 خالي الوفاض، فلم يبلغ مراده من رحلته. (الشيخ، 2000، صفحة 563)

وفي سنة 1330هـ/1913م، توجه صوب تونس للعلاج، بعد أن أصيب بمرض في عينيه، كما زاول دراسته بمعهد الخلدونية الابتدائي والثانوي، وجامع الزيتونة، حيث بها فطاحلة العلماء والمشايخ وكبارهم منهم الشيخ الطاهر بن عاشور، ما بين سنتي 1913و1915م، وترأس بها أول بعثة علمية جزائرية سنة1914م مكوّنة من تلاميذ المدرسة الصديقية بتبسة التي أسسها بمعية الشيخ عباس بن حمّانة والشيخ الحاج عمر العنق، والتي تعرضت للغلق من طرف الاستعمار، وهو تقليد سار عليه المزابيون عدة عقود بعد ذلك، إذ تتوجه مجموعة من

الطلبة إلى تونس طلبا للعلم، وتكون البعثة عادة بإشراف أقدم الطلبة وأكثرهم تجربة ونزاهة وشعورا بالمسؤولية، وحرصا على مصلحة الطلبة والبلاد (النوري، 1984، صفحة 83/2)، ثم عاد إلى الجزائر بداية الحرب العالمية الأولى؛ وقبل عام من نهايتها عاد إلى تونس مرة أخرى سنة 1917م ليترأس وفد البعثة إلى غاية سنة 1925م. (بن رحال، 2018، صفحة 162)

2.2 . تعليمه:

بعد سنين التعلم التي قضاها إبراهيم ما بين القرارة وبني يزقن وتونس، كانت عودته إلى مسقط رأسه للمساهمة في بناء مجتمعه ثقافيا وتربويا، فقد فتح في جوان سنة 1915م دارا للتعليم أو مدرسة عصرية، محلها بجوار المسجد الكبير بشارع البلات، وهي في الأصل دار للسيد بهون بن الحاج أحمد تبرع بها، وقد كانت من قبل أول معهد للشيخ الحاج عمر بن يحيى،أما المواد المدرسة فكانت تجمع بين العلوم الدينية والدنيوية، (الشيخ بلحاج، 2011، صفحة 497) سعيا منه لتطوير وعصرنة معهد شيخه الحاج عمر بن يحيى، والجمع بين التعليم والمنهج الكلاسيكي التقليدي من جهة؛ والمنهج العصري الحديث من جهة أخرى، إذ تأثر بالمدرسة الخلدونية ومنهاجها التي كان طالبا بها في تونس، وكان مديرا ومشرفا عليها، وقد دامت عاما وأشهرا ثم توقفت في خريف 1916م، بسبب عزمه على على العودة إلى تونس، إذ ترأس بعثة طلابية علمية ثانية في أكتوبر 2016. (الشيخ، 2000، صفحة 564)كما أنشأ نظاما للتعليم الثانوي، صار نواة لنظام معهد الحياة (دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، 2013، الصفحات 205/3–206) وكان أول مدرس لأحد أقسام دار التلاميذ عند تأسيسه بالقرارة (الشيخ بلحاج، 2011، صفحة 499)

كان الشيخ أبو اليقظان ذو فضائل عديدة ومكارم حميدة، ومآثر خالدة، يمتاز بالورع الصادق، والعفاف المخلص، والهمة الرفيعة، والنفس العظيمة، قال عنه الشيخ أحمد توفيق المدني:"وقد امتاز بدماثة الأخلاق وصفاء روحه، وتوقد ذهنه، وازدهار قريحته"، (بسكر، 2015، صفحة 24/1) تلك الخصال التي وجدها وقرأ عنها في سير الأوائل فكانت طريقا ومنهجا له في حياته. وكان كثيرا ما يدعو إليها وإلى الخصال التي تقوي شخصية المسلم كالاعتماد على النفس، والثبات على الحق، والإرادة والتضحية. كما كان مؤرخا يقظا يسجل كل حادث يمر عليه أو يسمع به، منذ سنة 1917 إلى غاية وفاته سنة 1973. (ناصر بوحجام، أبو اليقظان وقواعد البناء والإعداد والتربية، 2013، صفحة 16)

أصيب الشيخ أبو اليقظان في مسار حياته بنكبات متوالية في جسمه وأهله، فزيادة على قلة ذات اليد، تعرض للإصابة بشلل نصفي مفاجئ صبيحة يوم 07رمضان1376هـ/03أفريل1957م (ناصر، 2016، صفحة 77)

أفُل نجم الشيخ أبي اليقظان في 26 صفر1393هـ/30 مارس 1973، بعد أن لزم الفراش لمدة طويلة، وبعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والثقافي والتاريخي، وجهاد سياسي واجتماعي قلّ نظيره في ربوع صحراء الجزائر. (بكلي، 2015، صفحة 876)

3. جهاده :

1.3. جهاده الاجتماعي والثقافي:

تعددت مهام ونشاطات الشيخ أبي اليقظان محليا ووطنيا، ففي بلدته القرارة، وقف إلى جانب الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر في حركته الإصلاحية بوادي مزاب من بدايتها (مؤلفين، 1999، صفحة 53/2)

كما أسهم في تطوير معهد الحياة الذي تأسس سنة 1925م، وعُين عضوا في جمعية الحياة الإصلاحية سنة 1937، وكان عضوا قياديا في إدارتها بآرائه ومواقفه وأعماله، كما عين عضوا في حلقة العزّابة سنة 1936، وكان ينوب الشيخ بيوض في دروس الوعظ بالمسجد أثناء غيابه.

أما على المستوى الوطني فقد كان عضوا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وانتخب عضوا في مجلسها الإداري سنة 1934، وكان نائبا لأمين المال بها مرات عدة.

كما أسس المطبعة العربية في فيفري سنة 1931، وكان مقرها بشارع ذبيح شريف بالعاصمة. إذ أن جرائده قبل ذلك كانت تحرر بالجزائر ثم تطبع بتونس ثم توزع في الجزائر، وهو أول وطني جزائري يؤسس مطبعة وطنية عربية حديثة في الجزائر، وكانت المطبعة مقر اجتماعات للعديد من رواد الإصلاح والوطنية في الجزائر من أمثال: الشيخ أحمد توفيق المدني، والشيخ الطيب العقبي والشيخ عبد الحميد بن باديس، كما كانت تطبع مؤلفات وجرائد أخرى غير صحفه، إذ فيها تم طبع تاريخ الجزائر العام في طبعته الأولى للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، ومقاصد القرآن في طبعته الأولى أيضا للشيخ محمد الصالح الصديق، وجريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجريدة المنار للشيخ محمود بوزوزو.

أما خارجيا فقد عاش أبو اليقظان أجواء مغاربية إسلامية تجاوزت حدود وطنه، وتفاعل مع حركة الإصلاح في العالم الإسلامي والعربي، فقد وردت في جرائده، أسماء كثيرة لرواد الإصلاح والفكر الإسلامي المعاصر، وكانت

من بين أهداف رحلاته إلى المشرق، الاطلاع على الحراك العلمي والفكري والسياسي، واتصل بعدد من المصلحين والعلماء. (بوسعيد، 2020، صفحة 51)

2.3 . جهاده السياسي:

بحكم عالمية الشيخ أبي اليقظان وفكره المتفتح والشمولي، وحمله لهموم الأمة الإسلامية ووحدتها، على المستوى المغاربي والعربي الإسلامي عموما، أصبح منذ سنة1920 عضوا بارزا في الحزب الحر الدستوري في تونس، وربطته بزعيمه عبد العزيز الثعالبي صداقة وعلاقات خاصة، كما كان عضوا في اللجنة الأدبية للحزب، وقد تأثر أيما تأثير بالجو السياسي والأدبي والثقافي في تونس، هذا الجو الذي نقله إلى وطنه، وتجلى بفضله في مجالات عديدة، أهمها السياسي والوطني والثقافي والاجتماعي، (سعد الله، 2007، صفحة 291/5) وبعد عودته إلى الجزائر سنة 1925، أصدر ثماني جرائد وطنية إسلامية باللغة العربية، ما بين 1926 و1938، تعرض له الاستعمار بالسحب والمصادرة والتوقيف، وهي: وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان، كما قام بالعمل في العديد من الصحف والمجلات المحلية مثل جريدة الإقدام، وجريدة الفاروق الجزائريتين، وجريدة المنير، الإرادة في تونس، كما كانت له مشاركات في جريدة المنهاج في القاهرة (ناصر، 2016، صفحة 59) كما كان عضوا مؤسسا في لجنة إغاثة فلسطين، التي تأسست سنة1948 مع الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ إبراهيم بيوض وغيرهم.

كانت هذه لمحة بسيطة ومختصرة من أعمال الشيخ أبي اليقظان، في مجالات الحياة التي ساهم فيها، وكانت بصمته واضحة لا ينكرها إلا جاحد أو حسود، أما في الميدان العلمي فهو الأديب والشاعر والفقيه، والمفسر والداعية، والصحفي والإعلامي، والسياسي والاجتماعي والمؤرخ، (بحاز، 1996، صفحة 452) كما يتضح ذلك من مؤلفاته.

4. مؤلفاته:

بعد شعوره بالمضايقات من طرف المستعمر الفرنسي، وخاصة بعد توقيف صحفه من الإصدار سنة 1938، لم يتوقف الشيخ أبو اليقظان عن الكتابة، فتفرغ للتأليف بعد انقطاعه عن الصحافة، في مجالات التاريخ والفقه، وقد خلّف تركة فكرية هامة، تتيف عن ستين مؤلفا، ما بين كتاب ورسالة، عدا بحوث، مراسلات ومقالات ومذكرات وقصائد شعرية.. (ناصر بوحجام، 2013، صفحة 104). وقد جاءت خلال مسيرته العلمية الطويلة، وأغلبها كان قد ألفه خلال فترة مرضه وإصابته بالشلل النصفي الذي حدّ من حركته ونشاطه، ولكنه لم يحدّ من نشاط فكره وعقله، ونذكرها لتكون للباحث والقارئ نظرة عامة حولها من جهة؛ وقد يختار من بينها ما يعمل على

الدراسة والبحث فيه من المواضيع من جهة أخرى، فأغلبها لا يزال مخطوطا، وقد وجدتها بعناوين نوعا ما مختلفة في بعض المراجع، أما المؤلفات التاريخية فقد خصصناها في عنصر مستقل من البحث. (فرصوص، 1991، الصفحات 35-55)

أ-الكتب:

-ديوان أبي اليقظان(شعر): في جزأين، الجزء الأول مطبوع طبعة أولى، بالمطبعة العربية بالجزائر سنة 1931م. ثم طبعة ثانية، نشر جمعية التراث، سنة 1989م، أما الجزء الثاني فقد نشرته جمعية التراث سنة1989، باسم: وحي الوجدان في ديوان أبي اليقظان.

-سلّم الاستقامة: وهي سلسلة فقهية مدرسية مطبوعة في ثلاثة أجزاء للأقسام الابتدائية في فقه العبادات، وأربعة أجزاء لأقسام الثانوية، الجزء الأول منها في فقه العبادات والأخرى في فقه المعاملات.

--فتح نوافذ القرآن: بها 24 نافذة، تشبه ما قام به الشيخ سيد قطب في: مشاهد القيامة في القرآن، وقد طبع ببيروت، سنة 1973، بدار الفتح للطباعة والنشر.كما طبعت عدة مرات بالجزائر وعُمان.

ب-الرسائل:

- أقمار من سورة القمر: مخطوطة من 10 صفحات.

-عناصر الفتح من سورة الفتح: مخطوطة من 11 صفحة، أوضح فيها أسس النصر انطلاقا من تفسيره لسورة الفتح.

-أشعة النور من سورة النور: رسالة عالج فيها مسألة الحجاب والسفور، استنادا إلى سورة النور، طبعت طبعة أولى في قسم البحوث الإسلامية بدائرة الوعظ والبحوث الإسلامية، المديرية العامة للشؤون الإسلامية، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية، سلطنة عمان، سنة1990م.

-أضواء على بعض أمثال القرآن: مخطوطة، تشبه في عرضها (فتح نوافذ القرآن)

-تفسير القرآن الكريم(من سورة الفاتحة إلى سورة المرسلات)

-أين الواقعيون؟: مخطوطة من 10 صفحات، تبين أوجه الشبه بين الإنسان والنخلة.

-صبر يوسف يتجلى في محنه، وألطاف الله تكمن وراءها في أطوار حياته: مخطوطة صغيرة الحجم، تعرض فيها للمحن التي واجهت يوسف عليه السلام وصبره عليها.

-أطوار التكوين والفناء في القرآن: مخطوطة.

-الكتاب المجيد(بشائره للمؤمنين ونذره للكافرين): مخطوطة، يشرح ما خص به الله المؤمنين من النعيم، و الكافرين من العذاب الأليم.

-الإنسانية المؤمنة بين حزب الله وحزب الشيطان: مخطوطة.

-كلمتي في اللحية: مخطوطة.

-العزّابة(متن): مخطوطة.

-العزّابة(دراسة): مخطوطة

-أهدافي العليا بالعمل في هذه الحياة: مخطوطة

-إرشاد الحائرين: مطبوعة في مطابع العرب بتونس، سنة 1923م.

-الرد على خوامس الشبكة: (رد على جريدة ايكو دالجي L'écho d'Alger)، مخطوطة

-مكامن الآلام الوجيعة بوادي ميزاب: مخطوطة

-نعيم المرأة الميزابية في وادي ميزاب: مخطوطة.

-بيانات واضحة عن الطائفة الإباضية: مخطوطة.

-نظام هيئة إيمسوردان في غرداية: تحدث فيه عن دور هذه الهيئة في حماية المدينة من الأعداء، مخطوطة.

-إجابتي عن أسئلة بكلي عبد الرحمن: مخطوطة

-إجابتي على أسئلة صالح الخرفي: مخطوطة.

-خطبتا العيدين: مخطوطة

-رحلتي للحج إلى بيت الله: مخطوطة.

-دليل السواح للقرارة: مخطوط.

-مجموع الشذرات الحكمية: مخطوطة.

-جماعة الملاكين في لعميد: مخطوطة.

-محاورات: مخطوطة.

-سبيل المؤمن البصير إلى الله: مطبوعة من قبل دار لبنان للطباعة والنشر، سنة1969م، نشر دار الدعوة بنالوت(ليبيا). كما أعادت طبعه جمعية البلابل الرستمية.

-تحفة أبي اليقظان للصبيان: أرجوزة في الفقه بها 320 بيتا، مخطوطة.

-مأساة فلسطين: تقع في 325 بيتا، مطبوعة في مصر.

إضافة إلى كتيّبات في الأصل كانت مقالات وكلها مطبوعة، (ناصر بوحجام، أبو اليقظان وقواعد البناء والإعداد والتربية، 2013، الصفحات 114–116) وهي:

–حكمة التشريع الإسلامي

–وباء الفجور

–اللغة العربية غريبة في دارها

–الثقة بالنفس

–من دسائس المبشرين

–الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون

–العدالة تحتضر

–شعور الأمة نائم فماذا ينبه

–الإصلاح

–أخلاق الدجاجلة

–مختارات من صحف أبي اليقظان.

أما جرائد الشيخ أبي اليقظان التي أصدرها، وقد نالت شهرة واسعة في الجزائر، إذ بها وقف في وجه الاستعمار الفرنسي، فاضحا بها كل أساليبه، داعيا إلى الوحدة وعدم التفرقة. وقد أصدرها الواحدة تلو الأخرى، رغم مصادرتها من قبل الاستعمار. كما أن في هذه الصحف مادة تاريخية غزيرة، تتمثل في تراجم ودراسات تاريخية، ضمّنها جرائده اليقظانية المتوالية.

ففي جانب التراجم والسير حوت تفاصيل حياة الزعماء والعظماء، في الجزائر والعالم الإسلامي، والذين وقفوا حياتهم في خدمة الأمة، وتختلف هذه الكتابات من حيث الشكل نثرا وشعرا، ومن حيث المضمون رثاء وتأبينا، ومن حيث الكمّ الذي يتراوح ما بين مجرد مقال في صفحة من صفحات الجريدة، إلى تخصيص عدد كامل وأزيد، من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: الأمير خالد الجزائري، والشيخ عبد الحميد بن باديس، ومصالي الحاج، والشيخ العقبي، والشيخ البشير الإبراهيمي، ومفدي زكرياء وغيرهم كثيرون. (ابن عمر، 2011، الصفحات 123–124)

أما الدراسات التاريخية فقد جاءت على شكل مقالات تعالج مواضيع تاريخية بحتة، اتسمت بعضها بالعمق والطول، وعالجت الموضوع معالجة علمية منهجية بعد تحليله إلى عناصره الأساسية، وغالبا ما تسترسل هذه

الأبحاث على شكل حلقات تتتابع في عدة أعداد من الصحيفة الواحدة. وقد جاء توظيف واستثمار التاريخ كمادة في الجرائد في إطار السياسة الثقافية والتربوية التي انتهجها العلماء المسلمون الجزائريون منذ أواخر العقد الثاني من القرن العشرين، وذلك باعتماد عدة وسائل لتبليغ رسالتهم الحضارية للأمة، ومنها نشر التاريخ الإسلامي الجزائري، مثلما كتب كل من: الشيخ مبارك الميلي، والشيخ توفيق المدني، والشيخ عبد الرحمن الجيلالي، والشيخ محمد علي دبوز. (ابن عمر، 2011، الصفحات 124–125) وهي بحاجة إلى دراسة متأنية لسبر غوار تلك السير والتراجم والأحداث التاريخية وتحليلها، زمانا ومكانا وأخبارا، إلى جانب ظروفها التي وقعت فيها. فهي تمثل تاريخ الجزائر الضارب في القدم في مختلف جوانبه الدينية والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الجدول 1: جرائد الشيخ أبي اليقظان

اسم الجريدة	تاريخ بروزها	تاريخ تعطيلها	أعدادها
وادي ميزاب	01 أكتوبر 1926	18 جانفي 1929	119
ميزاب	25 جانفي 1930	-	01
المغرب	29 ماي 1930	09 مارس 1931	38
النور	15 سبتمبر1931	02 ماي 1933	78
البستان	27 أفريل 1933	13 جويلية 1933	10
النبراس	21 جويلية 1933	22 أوت 1933	06
الأمة	08 سبتمبر 1933	06 جوان 1938	170
الفرقان	08 جويلية 1938	03 أوت 1938	06

المصدر: (بن الناصر، 2021)

5. التعريف بمؤلفاته التاريخية:

جمع الشيخ أبو اليقظان في مسار حياته العلمية بين الأدب والسياسة والفقه والتفسير، وقد ألف فيها مقالات وكتبا شتى، هذا التنوع الذي كان قد تعلمه في مدرسة الحاج عمر بن يحي، ومدرسة الشيخ اطفيش ومدرسة الزيتونة، إذ مكّنه من أن يسطر بقلمه صفحات كتب ورسائل ومقالات وجرائد عديدة، بلغة عربية فصيحة.

والتاريخ من بين الفنون التي كان لها كبير اهتمام عند أبي اليقظان، (ناصر بوحجام، 1985، صفحة 179)، الذي كتب فيه ما كتب من العناوين، والتي لا زال أغلبها مخطوطا، ينتظر التحقيق، وقد تنوع بين التاريخ الإسلامي الوسيط والتاريخ الحديث والمعاصر، ويأتي اهتمامه بالتاريخ لكونه مربيا للأجيال، يعرف دوره في تربيتها، وفي تهذيب النفوس، وتكوين الرجال (كروشي، من 02 إلى 03 نوفمبر 2013، صفحة 123)، وفي القائمة التالية أهم كتب التاريخ التي ألفها الشيخ أبو اليقظان، وأغلبها لازال مخطوطا، لعل الباحثين يجدون ضالتهم في تحقيقها، وقد وضعت إشارة(*) أمام بعض العناوين التي ذكر الشيخ أبو اليقظان سبب تأليفه لها، وهذه قائمة مؤلفاته التاريخية: (الحسني، 1996، صفحة 460): – سليمان باشا الباروني*– الإباضية في شمال إفريقيا*– خلاصة التاريخ الإسلامي للجزائر – ملحق السير*– الإمام عبد الله بن إباض المرّي التميمي – بابا عمي الحاج أحمد كما أعرفه – ترجمة الإمام أبي إسحاق إبراهيم اطفيش الميزابي – ترجمة الإمام أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي*– ترجمة الإمام أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني* – ترجمة الإمام أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني* – الشيخ الثميني كما أعرفه – من هو الشيخ إبراهيم بن بكير؟ – موجز حياة أبي اليقظان – نشأتي – أفذاذ علماء الإباضية في وادي ميزاب في العهد الأخير– الإباضية في شمال إفريقيا(أجوبة على أسئلة علي يحيى معمر) – تاريخ الصحافة العربية في الجزائر* – الجزائر بين عهدين: عهد الاستغلال وعهد الاستقلال – فذات النساء الإباضيات عبر العصور – كيف كان النظام الديني والاجتماعي بالقرارة – مشاهد الزيارة في القرارة – هل للاباضية في الزمن القديم وجود في سوف* – عنوان الدراية فيما يتعلق بأحوال القرارة – طور جديد في الجزائر ووادي ميزاب – الإسلام ونظام المساجد في وادي ميزاب – الإسلام ونظام العشيرة في وادي ميزاب* – بيانات واضحة عن الإباضية ووادي ميزاب – بيان الحقيقة في مسألة العسكرية بوادي ميزاب – نسب الدين للإباضية في المغرب.

في نظرة أولى إلى القائمة، يمكننا ملاحظة عديد النقاط منها:

–أن عدد الرسائل التي ألفها الشيخ أبو اليقظان يفوق بكثير عدد الكتب، وذلك بحكم انشغالاته الكثيرة–حسب ما ذكرنا في سيرة حياته–، فاهتم بكتابة الرسائل القصيرة منها والمطولة ليرد بها على مختلف الجهات، وإن كان حجم رسائله اليوم بمثابة كتاب كامل.

–نجد أن هذه المؤلفات تجمع بين ما هو في التاريخ الوسيط، وما هو في التاريخ الحديث والمعاصر، وغياب التاريخ القديم عنها، وبين مؤلفات في التراجم : تراجم إباضية وغير إباضية، جزائرية ومغاربية في مختلف الفترات، قد اختارها بعناية تامة، إما لكونها من الفقهاء أو من العلماء، والذين ذاع صيتهم قديما وحديثا. ومؤلفات في التاريخ

العام: الوطني منه والمغاربي والإسلامي، إذ هو شاهد عيان للكثير من الأحداث التاريخية، داخل وخارج الوطن. وبذلك فهو بمثابة موسوعة تاريخية وسيطية وحديثة ومعاصرة، حاول أبو اليقظان جمع وكتابة تاريخ الجزائر للعام والخاص، للداخل والخارج، لا حدود سياسية ولا جغرافية تحده.

–في القائمة عناوين قد يتراءى للقارئ أن في ظاهرها كتبا فقهية أو اجتماعية أو سياسية، لكن في محتواها تاريخ عميق وأخبار. حتى أن هناك عناوين أخرى وجب الاطلاع على مضمونها لمعرفة محتواها، وإن جاز لنا أن نطلق حكما جزافيا فنقول بأن كل مؤلفاته فيها تاريخ دون استثناء، حتى الخاصة منها بالفقه والتفسير.

–الملاحظ في هذه العناوين أيضا أن الطابع التراجمي يغلب عليها، وقد جمع فيه مشاهير النساء والرجال، أي أن أبا اليقظان كان له ولع وشغف بكتابة سير الأوائل ومآثرهم ومناقبهم، حتى يقتدي الخلف بأجدادهم من السلف، وقد حاولت البحث عن تواريخ تأليفها، ووضع ترتيب زمني لمؤلفاته لكن لم أوفق في ذلك، لذلك أوردتها دون ترتيب محدد.

–مؤلفاته التي تُعنى بالتاريخ في العصر الوسيط، اهتمت جلّها بالإباضية تاريخا وسيرا، وبما أن الشيخ أبا اليقظان جزائري إباضي أبا عن جد، فقد كان لذلك تأثيره في كتاباته التي أراد بها، الحفاظ على سيرورة المذهب وتواصله عبر الأجيال كما فعل الأوائل من مشايخ إباضية القرون الأولى. وأراد بها أيضا الرد على المتطاولين–من العامة والخاصة– جهلا أو تجاهلا على المذهب وأتباعه.

وهنا تجب الإشارة إلى عدم تمكننا من الاطلاع على جميع تلك المخطوطات، سوى التي وجدنا منها نسخا بجمعية التراث بمدينة القرارة، ولاية غرداية. والأخرى تبقى بحوزة الورثة من عائلة أبي اليقظان، لذا ارتأيت أن أصنفها في عنصرين هما: كتب السير والتراجم، وكتب التاريخ والأخبار.

1.5. سير وتراجم أعلام الإباضية:

كان للشيخ أبي اليقظان اهتمام خاص بتاريخ الإباضية في العصر الوسيط، وقد يعزو ذلك إلى التكوين والتعليم الذي تلقاه منذ صباه في القرارة وبني يزقن وتونس الخضراء، فمشايخه قد غرسوا فيه تاريخ الأجداد من السلف الصالح، ليكون له سيرة وقدوة ونبراسا في حياته، فلم يجد بدّا من نقل ذلك إلى الأجيال اللاحقة عن طريق الكتابة والتوسع فيه، مخافة الانحلال والاندثار وسط بحار التيارات الفكرية والمذهبية التي تعصف بالإباضية في كل زمان ومكان.

فالكتب المذكورة آنفا جلّها ذات محتوى تراجمي، ونلاحظ ذلك من عناوينها قبل محتواها، ولنتتبع مؤلفاته الواحد تلو الآخر، حتى نقف على محتوى أغلبها(لم أستطع الوصول إلى جميع مخطوطات أبي اليقظان، وذكرت

محتوى المخطوطات المعروفة منها فقط). وهي إما تراجم منفردة، وإما جامعة لمجموعة منهم، والجمع عنده خاصة عند ترجمته لأعلام الإباضية في التاريخ الوسيط.

1.1.5. تراجم مجموعة في كتاب واحد:

-ملحق سير الشماخي:

كتاب مخطوط، منه نسختين إحداهما بخط يد المؤلف وحجمها ثلاثة كراريس ذات 600 صفحة، موجودة لدى جمعية التراث بالقرارة، والنسخة الثانية ملك لورثة أبي اليقظان. به 593صفحة، وهو تراجم لعلماء الإباضية بالمغرب الإسلامي مدة أربعة قرون و زيادة، ابتدأه مما انتهى إليه الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت:928م) في سيره، أي من القرن 10هـ/16م، إلى النصف الأول من القرن 14هـ/20م، وقد جاء ذلك على لسانه إذ يقول:" فوضعتُ كتابا باسم"ملحق السير"، فجاء يتألف من ثلاث حِلق من الخمسين الأولى من القرن العاشر إلى الخمسين الثانية من القرن الرابع عشر" (بحاز، 1996، الصفحات 452-460)، وقد انتهى الشيخ أبو اليقظان من تأليفه في 15 ذي الحجة 1382هـ/09ماي1963م، ويحتوي تراجم لـ: 315 عَلَما من أعلام الإباضية المغاربة، في كل من نفوسة وجربة ومزاب، والفترة هي فترة نهاية العهد الحفصي وبداية العهد العثماني فيها. وقد سدّ هذا المخطوط فراغا طويلا منذ سير الشماخي. قام بتحقيق جزء منه والممتد ما بين القرنين (10-11هـ/16-17م) الطالب نور الدين كروشي، تحت إشراف أ. د. إبراهيم بحاز في إطار أكاديمي تحضيرا لرسالة الماجستير بجامعة قسنطينة2 سنة 2013. وكما أن الشيخ أبا اليقظان قد ترك ملحقا لسير الشماخي، فعلينا أن نترك ملحقا لسير أبي اليقظان، استكمالا لسلسلة السير الإباضية حتى لا تنقطع، عملا بوصيته في آخر ملحقه حيث يقول: "ونرى إتمام هذا الباقي من مهمات الجيل الآتي وفقه الله على منوالنا" (أبو اليقظان، د.ت، صفحة 591)، وجاء معجم أعلام الإباضية في هذا الصدد ليكون بمثابة موسوعة أعلام ومشايخ الإباضية من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس عشر منه، بشقيه المشرقي والمغربي، جامعا بذلك بين التراث القديم(ق1-10هـ/7-16م)، والتراث الحديث والمعاصر(11-15هـ/17-21م). (فرصوص، 1991، صفحة 42)

-أفذاذ علماء الإباضية في شمال إفريقيا عبر العصور:

كتاب مخطوط، يحتوي على مجموعة من مشايخ الإباضية، عددهم حوالي 28 عالما، من فجر النبوة، موجزة ليتم به كتابه: الإباضية في شمال إفريقيا، ويبدأ من الفحة109، إلى غاية الصفحة190. وهم على التوالي: سلمة بن سعد، الأبطال النفوسيون الأربعة، الأبطال الثلاثة بعد بني رستم، الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر، الإمام أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، الإمام أبو العباس احمد بن محمد بن بكر، الإمام أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني،

أبو سهل يحيى بن إبراهيم، الإمام أبو الحسن علي بن يخلف المزاتي، الإمام أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، أعلام المجمع العلمي في غار امجماج بجربة، الأئمة العشرة، الإمام أبو طاهر إسماعيل الجيطالي، الإمام أبو ساكن عامر بن علي الشماخي، الإمام أبو الفضل أبو القاسم، الإمام عمر بن جميع الجربي، الإمام أبو يوسف يعقوب الشماخي، الإمام أبو العباس أحمد بن سعيد، الإمام أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، الإمام أبو عفيف صالح بن نوح، الإمام أبو داود سليمان بن إبراهيم الشهيد، الشيخ مرموري الناصر بن محمد، الشيخ سالم يعقوب. (أبو اليقظان، أفذاذ علماء الإباضية، د.ت)

-أفذاذ علماء الإباضية في وادي ميزاب في العهد الأخير:

هي رسالة مخطوطة، تحوي تراجم لمشايخ وادي مزاب في القرن 19و20م، أي العلماء الذين عاصرهم الشيخ أبو اليقظان في القرارة أو مختلف قرى وادي مزاب، يُحتمل أنهم كانوا زملاءه في الدراسة، أو من العزّابة، تعرّف عليهم عن قرب، وقادوا الحركة العلمية والفكرية في قرى الوادي السبع ووارجلان، (ضيائي، 2003، صفحة 146)في وقت ساد فيه الجهل والأمية بسبب تسلط المستعمر وسياساته، فجاء ذكرهم لاستنهاض همم الرجال، وعدم الرضوخ للاحتلال الفرنسي، والاعتماد على النفس في القيام بالتغيير والإصلاح، على أسس ومبادئ إسلامية وثوابت وطنية.

-فذات النساء الإباضيات عبر العصور:

هي رسالة مخطوطة، فيها عدد من النساء الإباضيات من نفوسة وغيرها، واللواتي كن يلزمن مجالس الذكر من وراء حجاب، وكان لهن باع في الدين والتفقه فيه، وهن المرشدات للمجتمع النسوي الإباضي عبر العصور، وفي مختلف مناطق الإباضية (ضيائي، 2003، صفحة 403)، حتى يكن قدوة لغيرهن من نساء جيله وجيل من بعده، ويبدو أنه أورد تاريخهن لما رأى من تغيّر الأحوال، وزوال بعض المبادئ والقيم الاجتماعية الإسلامية التي قام عليها الإباضية، خاصة في المجتمع النسوي، فالأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق.

جاءت هذه المؤلفات بمنهج يشبه منهج الشماخي في تناوله لسيره، إذ نجد بها عددا هاما من التراجم، ولكل ترجمة نبذ مختصرة عن حياة الشيخ او العالم، خاصة إذا علمنا أن مصدر الشيخ أبي اليقظان ومعتمده الأول هو سير الشماخي وطبقات الدرجيني. هذا فيما يخص إباضية القرون الوسطى، أما إباضية العهد الحديث، فنجده يستفيض بذكر بعض التفاصيل، لا لشيء إلا لأن الفترة قد عاشها، واحتك بمعظم المشايخ عن قرب.

2.1.5. تراجم منفردة:

-سليمان باشا الباروني في أطوار حياته:

في الأصل هو كراس به 100 صفحة، تناول فيه أطوار حياة المجاهد سليمان باشا الباروني(ت1359هـ/1940م)، كما أرّخ فيه لجهاده ضد الاستعمار الإيطالي، ورحلاته العديدة شرقا وغربا، وتاريخ طرابلس الغرب وليبيا في فترة هامة من فتراتها التاريخية، مزودا بصور ونصوص ورسائل ووثائق تاريخية، وقد طُبع الكتاب في جزأين، وهما مطبوعان في المطبعة العربية بالجزائر سنة 1956، وأعيد طبعه بعُمان، عن طريق الدار العُمانية سنة1956. (بسكر، 2015، الصفحات 1/25-26)

- الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي:

كتاب مخطوط، كان قد كتبه بتاريخ 16 أوت 1968، وهو في 68 صفحة، أو 69 ورقة، وقد تعرض فيه إلى جميع تفاصيل سيرة حياة الإمام أبي عبد الله محمد الفرسطائي(ت440هـ/1049م)، حيث استهلّها بمولده ونشأته وتعلمه، ورحلاته خاصة تلك التي كان وجهته فيها جزيرة جربة، ثم تآليفه الكثيرة، (أبو اليقظان، الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، د.ت)وكما هو معلوم أنه هو واضع نظام العزّابة، الديني، والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، الذي حفظ للإباضية بقاءهم في الكتمان، دون زوالهم واندثارهم رغم تعرضهم لشتى أنواع البطش والتغريب عبر العصور في بلاد المغرب بعد زوال الرستميين، وجاء ذكر أبي عبد الله كشخصية ومؤسسة لتنبيه الأجيال لفضله في تأسيس النظام، الذي وجب عليهم الحفاظ عليه لدوام بقائه، أمام دواعي النظريات الحديثة الغربية الداعية إلى التحرر وحقوق الإنسان والديمقراطية.

- الإمام أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني: (1968)

كتاب مخطوط، به 24 صفحة، عبارة عن رد لطلب كان قد طلبه منه الباحث عمار الطالبي، وقد اعتمد في ترجمته على مراجع ذكرها وهي: سير الشماخي، وطبقات الدرجيني، وكتاب الإباضية في شمال إفريقيا الذي ألفه قبل ذلك، وبعد بسطه لسيرة حياة أبي عمار(ت قبل 570هـ/1174م)، أجرى أبو اليقظان مقارنة بين ما جاء في سير الشماخي وما جاء في طبقات الدرجيني حول أبي عمار، إذ لاحظ بينهما نقاط اتفاق ونقاط اختلاف. كما نقل فقرات من كتاب الموجز لأبي عمار للوقوف على أسلوبه (أبو اليقظان، الإمام أبو عمار عبد الكافي، د.ت)، وكتب أخرى مصورة أطلعني على نسخ منها عضو جمعية أبي اليقظان الفتية (بن الناصر، 2021)، وهي:

–الإمام أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني:

كتاب مخطوط، كتبه في 05 أوت سنة 1966، في 61 ورقة، فيه حديث بإسهاب عن الشيخ أبي يعقوب يوسف الورجلاني(ت570هـ/1175م) الفقيه المؤرخ صاحب التآليف الكثيرة، تعرض فيه إلى سيرة حياته ورحلاته خاصة منها تلك التي قادته إلى خط الاستواء في إفريقيا، ومؤلفاته، وبعض آرائه الفقهية. (ضيائي، 2003، صفحة 108،253)وهو نموذج لشاب وشيخ طموح للعلم، فقد اتجه مشرقا ومغربا ووصل الأندلس، رغم مشاق السفر وأخطاره، فغامر بحياته إلى أدغال إفريقيا جنوبا، لنشر الإسلام بتلك الربوع.

–الإمام عبد الله بن إباض المري التميمي:

كتاب مخطوط، كتبه في 27نوفمبر1970، بحجم 17 صفحة، به تعريف بشخصية الشيخ عبد الله بن إباض(ت89هـ/707م)، وصفاته الأخلاقية، كما ضمن ترجمته رسالة مطولة الإمام إلى عبد الملك بن مروان، كان قد نقلها عن كتاب الجواهر للبرّادي، وقد أتت على جزء كبير من كتابه(من ص03 إلى ص15)، كما أتمها الشيخ أبو اليقظان بتعليق مشيدا فيه بموقف الشيخ عبد الله بن إباض، وفيه ذكر لبعض مصادر ترجمته منها: كتاب طبقات الدرجيني، وكتاب سير الشماخي، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني، وكتاب قاموس الأعلام، وكتاب المغرب الكبير للشيخ محمد علي دبوز، (ضيائي، 2003، صفحة 379)وهذه الترجمة أراد بها الشيخ أبو اليقظان تسليط الضوء على مواقف رجال الإباضية من أمثال: عبد الله بن إباض ووقوفهم للحق والثبات عليه، في وجه الظلم والظلمة، بأسلوب النصيحة، وتصحيح الأفكار المغلوطة.

– بابا عمّ الحاج أحمد كما أعرفه:

مخطوط من ست ورقات، كتبه في 01 سبتمبر سنة 1971، وهو– كما يصرّح– عبارة عن مقتطفات نقلها من الشيخ الحاج أيوب إبراهيم قرادي. تناول فيه حياة الشيخ بابا عمي الحاج أحمد بن موسى العطفاوي، في نقاط منها: ولادته، ومواهبه، ودخوله في الحياة، ثم هجرته إلى تونس، وأعماله ومآثره، (ضيائي، 2003، صفحة 161) والملاحظ في هذه الترجمة كثرة الأخطاء والتصويبات التي يبدو أنه نقلها شفاهة من مصدره الوحيد الذي اعتمد عليه.

– الإمام أبي إسحاق إبراهيم اطفيش كما أعرفه:

كتاب مخطوط، من عشرين ورقة استهله بفهرس لمحتوياته، أو عناصر ترجمته–كما أسماها–، وقد تناول فيه مولد الشيخ أبي إسحاق(ت1385هـ/1965م) وحياته، ثم تعلمه وشيوخه، ثم أعماله وتآليفه الكثيرة، ورحلاته العديدة ونفيه خارج الجزائر وكفاحه، وكان يبدأ كل عنصر بعبارة "أمّا" على غير عادته، في التراجم الأخرى، كما

أنه أشار إلى مصدره الذي سيرى النور قريبا وهو ملحق سير الشماخي الذي به ترجمة مفصلة للإمام أبي إسحاق وغيره من العلماء، (ضيائي، 2003، صفحة 150)

-الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح:

وهي رسالة جواب عن عشرة أسئلة للشيخ بكلي عبد الرحمن، كان قد أرسلها إلى إليه، عن حياة أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي اليزقني (ت1223هـ/1808م) وسيرته وتعلمه ورحلاته وتلاميذه ومن أبرزهم: الشيخ عبد العزيز الثميني صاحب النيل، والشيخ إبراهيم بايحمان، ودوره في الحركة العلمية ببني يزقن، وهي أجوبة مختصرة، بعضها لم يجب عنها الشيخ أبو اليقظان لعدم معرفته، وقد وردت الرسالة في ثماني صفحات.

- الشيخ الثميني كما أعرفه:

كتاب مخطوط، يعود إلى تاريخ 22 أكتوبر 1970، من عشرين صفحة، به جوانب من حياة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الثميني(ت1223هـ/1808م) الملقب بـ: ضياء الدين، نشأة وتعلما وأخلاقا وأعمالا. ومواقفه الجريئة، وعلاقته بالشيخ سليمان الباروني، استهله بفهرس محتوياته، (ضيائي، 2003، صفحة 210)

- من هو الشيخ إبراهيم بن بكير؟:

كتاب مخطوط، على شكل كراس من ست ورقات، 1986. ليس بحوزتنا معلومات عنه سوى ما ذكره علي أكبر ضيائي في معجمه، لكن يبدو أنه على شاكلة كتبه الأخرى، التي يتعرض فيها بالحديث إلى سيرة الشيخ إبراهيم حفار(ت1890هـ/1954م) وحياته وتعلمه وتعليمه ورحلاته، واهم صفاه وأعماله (دبوز، 1969، صفحة 145/2)

- موجز حياة أبي اليقظان: كتاب مخطوط، يبدو من عنوانه أنه يتحدث عن نبذة مختصرة عن حياة الشيخ أبي اليقظان، لكن فيه كتاب آخر بعنوان: نشأتي، فهل هما عنوانين لكتاب واحد؟.

- مذكرات أبي اليقظان: مخطوط كان يسجل فيها كل شاردة وواردة من الحياة العامة، ومسيرته الذاتية في تفصيل عجيب (ضيائي، 2003، صفحة 492)

- نشأتي:

كتاب مخطوط، يعود لسنة 1969، له صورة بمكتبة بابا عمي محمد، في بن يزقن (غرداية)، به 54صفحة. فيه إجابة عن بعض جوانب حياته مجيبا عن أسئلة بعض أبنائه نثرا، وفيها أسئلة كثيرة منها: مولده ونشأته، طلبه للعلم وتدرجه فيه، علاقاته بالمشايخ مثل الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، والشيخ الثعالبي، واهتمامه بالصحافة. (ضيائي، 2003، صفحة 536) وهو مصدر مهم لسيرة حياة الشيخ أبي اليقظان التي كتبها بخط يده، علما أنه لا

يترك صغيرة ولا كبيرة إلا سجلها بتفاصيلها، وهو بذلك مصدر مهم لبيئته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، كما يمكن الوقوف على العديد من جوانب من الحياة العلمية بتونس والقاهرة وغيرها، وأحوال العالم الإسلامي والعربي عموما.

ما يميز هذه التراجم أنه قد استهل أغلبها بفهرس لمحتويات مؤلفاته، كما أنه رتب كل ترجمة وفق عناصر واضحة، كالمولد والتعلم والرحلة والمآثر والأعمال، كما أنه اعتمد على الشماخي والدرجيني كمصادر لتراجم أعلام العصر الوسيط، ومصادر أخرى غير إباضية. أما الفترة الحديثة، فزمالته وزياراته ورحلاته، ومعايشته للأحداث، كان في أغلبها هو المصدر الرئيسي لها، ضف إلى ذلك مصادره المكتوبة المتنوعة. كما يلاحظ أيضا تفاوت حجمها، فمنها التي هي عبارة عن بضع ورقات، ومنها تلك التي تصل بصفحاتها إلى المائة. وهي بحاجة إلى دراسة معمقة لكل ترجمة على حده، وتتبع منهج الشيخ أبي اليقظان وأسلوبه فيها.

2.5. أخبار الإباضية والجزائر والقرارة:

أما الكتب الأخرى، فهي مزيج بين التراجم والأخبار المحلية والوطنية، عاشها الشيخ أبو اليقظان، فآثر الكتابة فيها وعنها، فتناولها إجمالا واختصارا، ونلحظ ذلك في العناوين وهي:

–دفع شبه الباطل عن الإباضية الوهبية المحقة:

رسالة مخطوطة، في تسع صفحات، كان قد كتبها بتاريخ 24جوان سنة 1966، ليرد بها على مقال: "من هم الخوارج"، والذي نشر بمجلة "المصوّر" المصرية التي صدرت في القاهرة، بتاريخ 15 أفريل1966، أجاب فيها الشيخ أبو اليقظان عن شبه كثيرة تستدعي مجلدا ضخما في الأصل–حسب قوله–، واسترعى انتباهه منها ثلاث نقط رئيسة وهي: هل الإباضية الوهبية من الخوارج؟، من هم رؤوس الخوارج؟، هل الإباضية الوهبية من القتلة السفاكين لدماء أهل التوحيد، ومن المعتدين عليهم؟. وقد أجاب عنها إجابة مفصلة، دحضا للشبه، ودفعا للشكوك، التي كانت –ومازالت في بعض المناطق– تصفهم بأبشع الصور، ووراء ذلك دوافع مختلفة.

–تاريخ صحف الجزائر العربية في الشمال والجنوب:

كتاب مخطوط، كتبه سنة 1961، يخلد فيه تاريخ الصحافة في الجزائر المستعمرة، وقد كان شاهد عيان على ما اقترفته فرنسا ضد حرية التعبير ما بين 1926و1938، وقد طبع بعنوان: تاريخ صحف أبي اليقظان سنة2003، قدمه وعلق عليه د. محمد صالح ناصر، مطبعة دار هومة بالجزائر. (فرصوص، 1991، صفحة 45)

-**الإباضية في شمال إفريقيا** (دراسات ثانوية لأبنائنا في مدارسنا الثانوية 1966م):

وهو الجزء الثالث من خلاصة تاريخ الجزائر الإسلامي العربي، رسالة مخطوطة، و يتضمن حديثا مفصلا عن نشأة الإباضية و تاريخهم في شمال إفريقيا. (فرصوص، 1991، صفحة 41) كما هو ظاهر من عنوانه، فهو موجّه لتلاميذ المدارس الثانوية، كما له أجزاء أخرى خاصة بتلاميذ المرحلة الابتدائية.

-**هل للإباضية في الزمن القديم وجود في سوف؟:**

رسالة مخطوطة، كتبها أبو اليقظان سنة 1967، إجابة على تساؤلات بعض الأدباء في الإذاعة الوطنية، حول وجود الإباضية بوادي سوف، مستهلا بديباجة، ثم يأتي على ذكر نبذ مختصرة من حياة أعلام الإباضية بوادي سوف كأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي المارغني، والشيخ إدريس بن الطويل السوفي اللواتي، وأبو عبد الله محمد بن علي السوفي، والشيخ أفلح المرغني السوفي، إلى جانب النساء الإباضيات السوفيات كسارة اللواتية التي فصّل بعض الشيء في التعريف بها وبمواقفها، وبعد ذلك بيّن دلائل وجود الإباضية بالمنطقة بذكر بعض القصص كقصة أبي نوح سعيد بن زنغيل، وقصة تلامذة أبي الربيع سليمان بن يخلف، وغيرها. (أبو اليقظان، هل للإباضية في الزمن القديم وجود بسوف، د.ت، الصفحات 1-33)

-**بيان حقيقة التجنيد الاجباري:**

رسالة مطبوعة بالمطبعة العربية بالجزائر، و سبب كتابتها ما كان من اشتداد الصراع بين السلطة الاستعمارية الفرنسية، وسكان وادي ميزاب حول قضية التجنيد الإجباري بوادي ميزاب. وقد ورد على لسان وكيل الأمة الميزابية السيد: الحاج امحمد عمر بن عيسى. (فرصوص، 1991، صفحة 37)

-**نسب الدين للإباضية في المغرب:**

وفي هذه الرسالة يثبت أبو اليقظان سلسة نسب الدين، حتى يبين قدم المذهب الإباضي وعراقته، بعراقة مشايخه، والتي تصل حلقاته إلى الرسولﷺ، حيث يبدأ باسمه ثم الحاج عمر بن يحيى، عن اطفيش محمد بن يوسف، عن اطفيش إبراهيم بن يوسف، وهلمّ جرا عبر جميع مشايخ الإباضية في الأقطار وصولا إلى الرعيل الأول من شيوخ الإباضية في القرن الأول الهجري، عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، عن جابر بن زيد الأزدي، عن عائشة أم المؤمنين عن رسول الله، عن جبريل عليه السلام عن اللوح المحفوظ، وعدد المشايخ المذكورين في السلسلة الذهبية هو: 37 شيخا (فرصوص، 1991، الصفحات 138-139)، تبقى مؤلفات أخرى، غاية ما نعلم منها عناوينها وأنها لازالت مخطوطة وهي:

-خلاصة تاريخ الإباضية:

يبدو من عنوانه أنه يتحدث عن تاريخ الإباضية عبر عصورها من القرن الأول إلى فترة متأخرة، ومادام انه مختصر، فلا يعدو أن يكون عبارة عن جملة من المقتطفات لأهم مراحل تاريخ الإباضية منذ ظهورها في المشرق إلى انتشارها بالمغرب، مع ذكر لأهم الأحداث والوقائع التاريخية. (ضيائي، 2003، صفحة 262)

-عنوان الحضارة فيما يتعلق بأحوال بلد القرارة:

رسالة مخطوطة، ألفها سنة 1334هـ/ 1915م يتحدث فيها عن تاريخ القرارة، في فترة القرن 19 و20م، جمع في كتابه ما عاشه الشيخ أبو اليقظان من أحداث سياسية ودينية، والفترة فترة استعمار فرنسي. (ضيائي، 2003، صفحة 393)

- الجزائر بين عهدين(الاستغلال والاستقلال):

رسالة مخطوطة، تعرض فيها بالحديث عن أدوار الجزائر في عهد الاستغلال الفرنسي، أو عهد الاتكال على الغير –كما أسماه–ثم عهد الاستقلال أو عهد الاعتماد على النفس، وقد نشر ذلك في جريدته سابقا، جريدة وادي ميزاب في عددها السابع عشر، وقد قسمه إلى أربع أدوار، سماها تباعا: دور التكون، دور النشوء، ثم دور النمو، ثم دور النضوج والازدهار. وقد جاءت في خمسين صفحة.

- بيانات واضحة عن الإباضية ووادي ميزاب

- نظام العشيرة في وادي ميزاب:

رسالة مخطوطة، بحجم 37 صفحة، كتبها سنة 1967، وهو من عنوانه يتحدث عن نظام العشيرة منذ فجر الإسلام، وكيف أن الإباضية قد تبنوه في نظمهم ومجتمعهم، عملا بالقرآن الكريم والسنة النبوية، مع التعريف بها، ومهامها في المجتمع، وأهدافها، وصلاحياتها. والكتاب اجتماعي من عنوانه، لكن يبدو أنه عبارة عن محطات تاريخية عن نشأة العشيرة عند الإباضية.

- الإسلام ونظام المساجد في وادي ميزاب:

رسالة مخطوطة، بها 100 صفحة، تتحدث عن نظام العزّابة وأعمالهم، ومجلس عمي سعيد، ومهام المسجد وأعضاء العزّابة الرسمية كالإمام والمؤذن ومعلم الصبيان، والوعاظ وغيرهم. كما نجد بها قائمة للأعياد الدينية والوطنية، وكيف يتم الاحتفال بها بحضور العزّابة. (ضيائي، 2003، صفحة 139)

– طور جديد في الجزائر ووادي ميزاب:

رسالة مخطوطة كُتبت سنة 1967، تتحدث عن تقارير مغلوطة أرسلت إلى الحكومة الجزائرية ضد الشيخ إبراهيم بيوض والإصلاحيين في وادي مزاب، وقد أرسلت وفدا للوقوف على الحقائق من مصادرها. وجاءت الرسالة في حوالي ستين صفحة، بدأها بتمهيد وتناول الموضوع في أربع عشرة عنصرا أو عنوانا، يتحدث عن خط مسار الوفد الحكومي إلى غرداية ثم ورقلة، فالقرارة في آخر المطاف والتقائه بأهم الشخصيات البارزة في الإصلاح، وأبرزهم الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، كما قدم الشيخ أبو اليقظان ملاحظاته حول هذه الزيارة.

–خلاصة التاريخ الإسلامي الجزائري:

كتاب موجه لتلاميذ مرحلة الابتدائي، عبارة عن سلسلة دروس تتناول تاريخ الجزائر في عصرها الإسلامي، بدءا بحملة العلم الخمسة، وسيرة حياة بعضهم، ثم تاريخ الدولة الرستمية من خلال أئمتها، وفي نهاية كل درس مجموعة أسئلة عنه.

– مشاهد الزيارة في القرارة:

رسالة مخطوطة، تتحدث عن يوم الزيارة، وهو يوم مشهود في وادي مزاب وورجلان، يحتفل به كل سنة في موسم الربيع، وعادة ما يكون شهر أفريل، حيث تخرج جموع الطلبة والعوام وبعض العزابة باكرا لزيارة بعض المقامات الأثرية في بلدة القرارة والوقوف عندها مع تلاوة ختمات القران، وتوزيع الصدقات، تتخللها شروح وتوضيحات تاريخية عن تلك الأماكن، والهدف من ذلك ترسيخ تاريخ الأجداد، عن طريق ما بقي من آثارهم، فتلك آثارهم تدل عليهم، وعلى الأجيال الحفاظ ونقل ذلك التراث والإرث التاريخي لمن بعدهم. وجاءت هذه المخطوطة الهامة في هذا الصدد، ليسرد فيها يوم الزيارة من أوله إلى آخره في عهده وما قبله.

– كيف كان النظام الديني والاجتماعي بالقرارة:

مخطوط تحدث فيه عن هيئة العزّابة وصلاحياتها، وكذا نظام العشائر. وهو يشبه نوعا العنوانين السابقين: الإسلام ونظام العشيرة في وادي ميزاب، و الإسلام ونظام المساجد في وادي ميزاب، والرسالة أو الكتاب يرمي إلى الثبات على الأصول التي تركها الأجداد والمستمدة من الكتاب والسنة، في ظل التيارات الفكرية المحلية والغربية الجارفة، والتي ركب موجتها بعض شبابنا بدعوى الحضارة والتحرر، والذين أصبحوا معاول هدم لمؤسساتهم وهيئاتهم التي فاق عمرها 10 قرون من الوجود.

بعض التعاريف للكتب والرسائل السابقة عبارة عن توضيحات وشروحات، اعتمدت فيها على عناوينها، قد تكون صائبة، كما قد تكون مخطئة، أو تحمل نسبة من الصواب، لمضمون هذه المؤلفات، والأمل معقود على

الباحثين للبحث والتقصي والتحقيق فيها حتى يتم المبتغى، وتملأ رفوف خزائن المكتبات الجامعية منها والعامة، بمؤلفات الشيخ أبي اليقظان محققة ومطبوعة، في متناول الدارسين والباحثين.

4.خاتمة:

بعد هذه الجولة بين مؤلفات الشيخ المؤرخ أبي اليقظان، والتاريخية منها على وجه الخصوص، يمكن الوصول إلى نتائج أهمها:

–من بين نقاط الاشتراك بينها، كون معظمها يخص التراجم، أي أن للشيخ اهتمام خاص بسير السلف الصالح، ثم إن جلّ مؤلفاته –في التاريخ الوسيط أو الحديث والمعاصر–تخص الإباضية دون غيرهم من المجتمعات أو المذاهب الأخرى.

–في التاريخ الوسيط غلبت كتاباته على التاريخ الإباضي وأخبار الأوائل من مشايخ الإباضية، أما في الحديث والمعاصر فقد كان حضور التاريخ المحلي جلي، بما أن الفترة، فترة استعمار فرنسي وهو شاهد عليها.

–اهتم بالتاريخ المغاربي والإسلامي عموما، محاولا وضع المسلمين على الصورة، وأنهم جسد واحد، يدعوهم إلى الوحدة ولمّ الشمل، محذرا من دسائس الاستعمار وأذنابه في العالم الإسلامي والعربي.

–كتبه ورسائله تشكل مادة غزيرة لتاريخ الجزائر والعالم الإسلامي في شتى جوانبه الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن جرائده الثماني.

–كل مؤلفاته التاريخية كانت موجهة إلى مختلف الفئات العمرية من المجتمع، فمنها ما هو لطلاب المدارس ومنها ما هو للعامة، ومنها ما هو للمثقفين والجامعيين، كما أنها تهدف إلى ربط الخلف بالسلف، حتى لا تنقطع السلسلة الذهبية الموروثة أبا عن جد، فهي بمثابة شجرة أصلها ثابت متغلغل في القدم، وفرعها منبعث في جو السماء عبر العصور و الأزمنة، وخوف الأفكار والذهنيات والتيارات الدخيلة على المجتمع الإباضي، والتي تعرف أحيانا رياحا عاتية، تجعلها تتعرض للمؤامرات بالتواطؤ أو من دونه، لتهديم لحمته، والعمل على انسلاخه من هويته الدينية واللغوية والوطنية، خاصة فترة الاستعمار.

العمل عبارة عن بداية وتمهيد للبحث في مؤلفات الشيخ أبي اليقظان التاريخية، ودراستها من حيث المنهج والأسلوب للوقوف على اتجاهه ورؤيته للتاريخ الوسيط والحديث. عمل آخر جدير بالاهتمام، لذا ندعو طلبة العلم لدراسة كتبه وآثاره، دراسة منهجية أكاديمية علمية بحتة، وتحقيق مخطوطاته الكثيرة التي لازالت في رفوف الخزائن، تنتظر نفض الغبار عنها.

–كما يمكن للباحثين العودة إلى كتاب "أبي اليقظان وقواعد البناء والإعداد والتربية"، لمؤلفه د. ناصر بوحجام محمد في صفحاته من ص117إلى 148، الذي يحوي جلّ المؤلفات التي ألفت عن الشيخ أبي اليقظان. من كتب ورسائل جامعية ومقالات ومحاضرات في ملتقيات، وكتبا أجنبية.

5.قائمة المراجع:

إبراهيم أبو اليقظان. (د.ت). *أفذاذ علماء الإباضية*. القرارة: نسخة بحوزة جمعية التراث.

إبراهيم أبو اليقظان. (د.ت). *الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي*. القرارة: نسخة بحوزة جمعية التراث.

إبراهيم أبو اليقظان. (د.ت). *الإمام أبو عمار عبد الكافي*. القرارة: نسخة بحوزة جمعية التراث.

إبراهيم أبو اليقظان. (د.ت). *ملحق سير الشماخي*. القرارة: نسخة بحوزة جمعية التراث.

إبراهيم أبو اليقظان. (د.ت). *هل للإباضية في الزمن القديم وجود بسوف*. القرارة: نسخة بحوزة جمعية التراث.

إبراهيم بحاز. (جوان, 1996). أبو اليقظان إبراهيم وكتابه ملحق السير. *مجلة الموافقات* .

إبراهيم بن الناصر. (31 أوت, 2021). صحف أبي اليقظان. (الزرويل صالح، المحاور) القرارة، غرداية: جمعية الشيخ أبي اليقظان الفتية.

أبو القاسم سعد الله. (2007). *تاريخ الجزائر الثقافي*. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.

أبو عمران الشيخ. (2000). *معجم مشاهير المغاربة*. الجزائر: منشورات دحلب.

أحمد فرصوص. (1991). *أبو اليقظان كما عرفته*. قسنطينة: دار البعث.

الحاج موسى ابن عمر. (2011). تاريخ الجزائر من خلال صحف الشيخ أبي اليقظان. *مجلة المصادر* .

حمو عيسى النوري. (1984). *دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا*. قسنطينة: دار البعث.

سمية بوسعيد. (أوت, 2020). من اعلام الفكر الإسلامي الشيخ أبو اليقظان الصحفي المصلح. *مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية* .

صالح أبو بكر. (2015). *القرارة من دخول الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى 1882-1921، الحلقة الثانية* (المجلد 1). القرارة: جمعية التراث.

عادل نويهض. (1980). *معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر* (المجلد 2). بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.

عبد الرحمن بكلي. (2015). *مقتطفات من مذكرات البكري*. العطف: مكتبة البكري.

علي أكبر ضيائي. (2003). معجم *مصادر الإباضية* (المجلد 2). الجزائر: مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع.

قاسم الشيخ بلحاج. (2011). *معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر من 1744إلى1962* (المجلد 1). غرداية: المطبعة العربية.

مجموعة مؤلفين. (1999). معجم *أعلام الإباضية من ق(1-15هـ) قسم المغرب* (المجلد 1). غرداية: المطبعة العربية.

محمد الهادي الحسني. (جوان, 1996). الشيخ أبو اليقظان وكتابه سليمان الباروني. *مجلة الموافقات* .

محمد بسكر. (2015). *أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة* (المجلد 2). بوسعادة: دار كردادة للنشر والتوزيع.

محمد صالح ناصر. (2016). *مشايخي كما عرفتهم* (المجلد 3). الجزائر: دار ناصر للنشر والتوزيع.

محمد علي دبوز. (2013). *أعلام الإصلاح في الجزائر*. الجزائر: عالم المعرفة.

محمد علي دبوز. (1969). *نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة*. غرداية: المطبعة العربية.

محمد ناصر بوحجام. (1985). *أبو اليقظان في الدوريات العربية*. غرداية: المطبعة العربية.

محمد ناصر بوحجام. (2013). *أبو اليقظان وقواعد البناء والإعداد والتربية* (المجلد 1). القرارة: جمعية التراث.

نور الدين كروشي. (من 02 إلى 03 نوفمبر 2013). "ملحق لسير الشماخي" لمؤلفه الشيخ أبي اليقظان إبراهيم– دراسة في محتوى المخطوط–. *ملتقى الذكرى الأربعين لوفاة شيخ الصحافة الجزائرية الشيخ إبراهيم أبو اليقظان*. المحمدية، الجزائر.

يمينة بن رحال. (ديسمبر, 2018). البعثات العلمية الميزابية إلى تونس ودورها في تفعيل النهضة الفكرية الجزائرية. *المجلة الجزائرية التاريخية* .